

الإمام الحسيني البغدادي مقاربات في سسيولوجيا الدين والتدين

التاريخ والسياسة 2

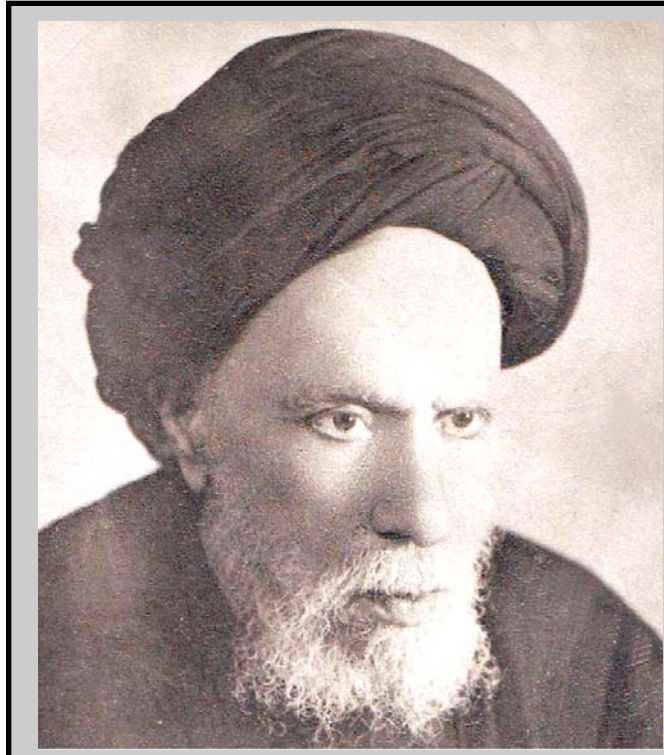
كل إصلاح مفتاحه الفكر الديني (توماس هوبز)

توطئة

حين هاتفتي الصديق فوزي الراوي (عضو القيادة القومية لحزب البعث- سوريا) إلى فندق "الفردوس تاور" (برج الفردوس) بدمشق، سألني إن كنت أعرف سماحة السيد أحمد الحسيني البغدادي، وقبل أن ينتظر جوابي قال إنه يعرفك جيداً، ثم خاطبه قائلاً تكلم مع د. عبد الحسين شعبان بعد أن نقل سماعته للتفون إليه، وجاني صوته رهيماً وعميقاً ومؤثراً بالسلام والسؤال عن الصحة والعائلة، وإنه من المتابعين جداً لكتاباتني ومواقفي. ولكي أتأكد من أن يكون محدثي سالت ما الذي يربطك بآية الله الإمام السيد محمد الحسيني البغدادي؟ فقال إنه جدتي، فقلت له إذا أنت نجل السيد كاظم، فقال نعم، فقلت له وصلنا إلى حيث المشترك.

أ.د. عبد الحسين شعبان

بيروت



الإمام الحسيني البغدادي

الجامعة قبل ذلك لكن الحزب قرر اندمادي مجدداً لهذا الميدان، واتضح أن الاجتماع نقل إلى فارس ولم يكن لنا علم بذلك بسبب ظروف عملنا السرية، وقد التقت هناك بالشاعر عبد الوهاب البياتي الذي كان يرتاد مقهى لآباس يوماً، ومعه الشاعر عبد السامرائي الذي أصبح لاحقاً من أصدقائي، وكان قد جاء من لايبزك (المانيا الديمقراطية آنذاك) وعرفت من البياتي أنه تم إلقاء القبض على عزيز الحاج.

وبعد عودتي زارني السيد صادق الحسيني وأخبرني بأن عزيز الحاج اعترف اعترافاً كاملاً، وقد تم تسجيل شريط تلفزيوني معه (مقابلة) مدتها 72 دقيقة، وستبث لاحقاً. وأتذكر أنني ضبضت ساعتني بعد بث المقابلة التي ظهر فيها محمد سعيد الصحاف (مدير الإذاعة والتلفزيون) في مقابلة مع عزيز الحاج، يوم 3 نيسان (أبريل) 1969 حيث استغرقت 72 دقيقة بالضبط، وبالرغم من أننا كنا نشكك أحياناً ببعض المعلومات أو نرى فيها مبالغة أو حتى رسالة البغضاء، لكن القسم الأكبر منها كان صحيحاً ودقيقاً، حيث كان يستقي معلوماته من المصادر الأولى في الدولة، وكانت اتصالاته وعلاقاته وثيقة مع عبد الفتاح الباسين قبل تعيينه سفيراً في بيروت.

وفي إحدى المرات كنا قد اتفقتنا على العشاء في حانة الشاطي الجميل والتقينا في مقهى الجندي المجهول (ساحة الفردوس حالياً) وخلال خروجنا من المقهى تحركت سيارتي بجدة سريعاً وبزل منها أربعة شرطة أحدهم حمل سلاحاً والآخر رشاشاً وبدأ بالتفتيش وطلب الهويات لتدقيقها، وكان الجمع يضم: شوقي شعبان ونعمان شعبان، (كان مثلنا في جمعية العلوم السياسية وهو عضو في لجنة طلابية اتحادية سابقاً في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية)، ورياض محمد (من الكرادلة توسط له الحسيني البغدادي للتعيين في وقت كانت التعيينات متوقفة وتمكن من تعيينه)، وهو أحد أصدقائنا، وفاضل جلعوط وهو أحد المعتنقين المعروفين في الفضل، ولؤي أبو التمن وكنا نتختماً، ويبدو أنه كان يحضر اجتماعاً حزبياً ويحمل في جيبه محضر الاجتماع وجدول المالية وأوراق الترشح، وبعد وصوله قمنا بالتحرك، وكاتب السطور. وكان صادق الحسيني البغدادي (الحجة) قد بادر



السيد البغدادي مع محمد علي كمونة ومحمد رضا الحساني وقائد الفرقة الأولى وسالم عبد الرزاق محافظ كربلاء ومدير الشرطة

عدد من الأصدقاء وهو ينقل لهم بعض الأخبار الطازجة من العراق. وحين انفرج بي حاول أن يعترضني وينتزع ما لدي من أخبار، ولأني أعرف "هوايته" وشفهه زودته بما استطاع، وفي اليوم التالي كان يجتمع بكادرات حزبية وشخصيات عراقية، وهو ينقل لها باقة الأخبار بطريقته الخاصة المشوقة والمفغنة.

وحتى وهو خارج الحزب الشيوعي كان ينقل لنا الأخبار، خصوصاً بعد أن تعززت علاقته مع السلطة في العراق التي حدثت لأول مرة في العام 1968 بعد الانقلاب البعثي الثاني، حيث ارتبط بعلاقات صداقة قوية كترخية مع صدام حسين التكريتي، وكان قد حاول الذود عنه في العام 1959 خلال المد الشيوعي كما يقول، ويبدو أن صدام حسين حين أصبح في موقع القرار لم ينس ذلك وكان قد التقاه في جمعية الاقتصاديين العراقيين على نحو خاطف بعد 7 تموز (يوليو) العام 1968 بآيام، وأعطاه أرقام هواتفه وطلب لا تترك الحقيقة إلا عندما تفتي جلال الدين الرومي

وكان رأيه ضد الشيوعية قد صدر في عهد عبد السلام عارف كما سنأتي على ذكره، بعد نحو 4 سنوات عن صدور فتوى السيد الحكيم، حيث كتب في موسوته الإسلامية

حين جرت ضغوط لإصدار فتوى ضد الشيوعية والشيوعيين في أواخر العام 1959 ومطلع العام 1960 كنا نعرف من خلال متابعتنا إن رأي السيد البغدادي الكبير ليس مع تكفير الشيوعيين أو دهمهم بالإلحاد، خصوصاً وأنه كان يريد أن الكثير منهم لم يفهموا المذهب المادي بقدر ما كانت أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والظلم الواقع عليهم هي التي تدفعهم إلى الانتماء إلى الحزب الشيوعي

بسميه "العوام" الذين لم يتبعوا منهج الإلحاد أو يدعون إليه، وبين من يحاول فلسفة الأمر للمادية والإحادية، علماً بأن الأغلبية حسب وجهة نظره هم من الشيعة، وهذا يعني إنه سيدزئ الحمل عليهم، وهم تعرضوا لأعمال قمع تاريخية وظروف اقتصادية واجتماعية دفعتهم إلى الانخراط في صفوف الحزب الشيوعي. وإذا كانت هذه وجهة نظره حين أصدر السيد الحكيم "فتواه"، فلذلك أسباب أخرى، تتعلق بعلاقات لاحقاً فيما يتعلق بعلاقات المراجع ومناقساتهم وصرعاتهم المبدئية وغير المبدئية، ولاسيما علاقة السيد البغدادي الكبير بالسيد الحكيم الكبير، ولكن البغدادي عاد وغير رأيه وأصدر فتوى "أو كتب رأياً" وضعه في مكتبته من باب الاحتراز والحيطه والتقفة، سواء كان مقتنعاً به أو أنه كتبه ليرد به على اتهامات وإشاعات حاولت "الرجعية الرسمية" ترويجه ضدّه، أو لأنه بعد حين شعر بأنه لا ينبغي أن يكون خارج المألوف في هذه القضية بالذات، فسرب هذا "الرأي" أو سمح بنشره أو سكت عنه، كي يبدو ضمن الأطار السائد.

وكان رأيه ضد الشيوعية قد صدر في عهد عبد السلام عارف كما سنأتي على ذكره، بعد نحو 4 سنوات عن صدور فتوى السيد الحكيم، حيث كتب في موسوته الإسلامية

آخر حين نشر الشيخ محمد هادي الأميني رأي البغدادي نقلاً عن مخطوطات مكتبته، وكان قد وضع ذلك الرأي أو تلك الفتوى في ترجمته، الأمر الذي شاع حينها بأنه أصدر فتوى، وهو ما سنؤكد عنه في مكان آخر من هذه الدراسة. وكانت الأخبار تصل إلينا عبر السيد صادق الحسيني الذي كان له مجساته الخاصة وطرقه المختلفة في الحصول على الأخبار، وأحياناً توليفها بحكمة الواقع عليهم هي التي تدفعهم إلى الانتماء إلى الحزب الشيوعي. وحتى حين أصدر السيد البغدادي الكبير "فتواه" في العام 1964 وهناك من يميل إلى أنه كتب "رأياً" وليس "فتوى" بخصوص الشيوعية، كما سيأتي ذكره، حاول التفريق بين ما

أشير إلى أن الكثير من أبناء العوائل الدينية، شيعية وسنة كانوا قد انتسبوا إلى الحركة الشيعية، وعائلة الحسيني الكبير واحدة منها، مثل عوائل الحكيم وبحر العلوم والجواهري والشيبيني والريفي وشعبان والخرسان والمخزومي وسيمسم والدجيلي وشريف والصراف (شكر) وغيرهم، كما هي عوائل عزيز شريف وعامر عبدالله وتوفيق منير وغيرهم من آل العاني والأوسى والتقيب والخطيب.

وتشابهك عائلة الحسيني البغدادي مع عوائل عديدة منهم عائلة الهاشمي أو ما كانوا يعرفون ببيت شاه عبد العظيم، ومنهم من انتسب إلى الحزب الشيوعي أو كان صديقاً له مثل أولاد السيد حسن (الذي كان يضع الكشيدة ذات الشريط الأخضر فوق رأسه وهو يمتن تجارة الأقمشة)، وأحد إضافة محسن ويوسف وهما، إضافة إلى صادق الحسيني وشوقي شعبان من أصدقاء السيد كاظم الحسيني البغدادي، وكانوا يلتقون به في بغداد وكان لي نصيب المشاركة في هذه اللقاءات، وأحياناً يطلعنا السيد كاظم على علاقته ومطالباته من سلطة عارف.

ومن عائلة الهاشمي السيد صاحب وهو صديق لعمي ضياء ولعين وناصر شعبان (خالي)، تصيب المشاركة في هذه اللقاءات، وأحياناً يطلعنا السيد كاظم على علاقته ومطالباته من سلطة عارف.

وكان رأي البغدادي الكبير "فتواه" في العام 1964 وهناك من يميل إلى أنه كتب "رأياً" وليس "فتوى" بخصوص الشيوعية، كما سيأتي ذكره، حاول التفريق بين ما

وكان معتقلاً معنا بعد انقلاب 8 شباط (فبراير) 1963 كما عمل معنا في التنظيم الجديد بعد الانقلاب البعثي. وكان طريق الهروب سالماً عبر البصرة الكمبر وبحر العلوم والجواهري والشيبيني والريفي وشعبان والخرسان والمخزومي وسيمسم والدجيلي وشريف والصراف (شكر) وغيرهم، كما هي عوائل عزيز شريف وعامر عبدالله وتوفيق منير وغيرهم من آل العاني والأوسى والتقيب والخطيب.

وتشابهك عائلة الحسيني البغدادي مع عوائل عديدة منهم عائلة الهاشمي أو ما كانوا يعرفون ببيت شاه عبد العظيم، ومنهم من انتسب إلى الحزب الشيوعي أو كان صديقاً له مثل أولاد السيد حسن (الذي كان يضع الكشيدة ذات الشريط الأخضر فوق رأسه وهو يمتن تجارة الأقمشة)، وأحد إضافة محسن ويوسف وهما، إضافة إلى صادق الحسيني وشوقي شعبان من أصدقاء السيد كاظم الحسيني البغدادي، وكانوا يلتقون به في بغداد وكان لي نصيب المشاركة في هذه اللقاءات، وأحياناً يطلعنا السيد كاظم على علاقته ومطالباته من سلطة عارف.

وكان رأي البغدادي الكبير "فتواه" في العام 1964 وهناك من يميل إلى أنه كتب "رأياً" وليس "فتوى" بخصوص الشيوعية، كما سيأتي ذكره، حاول التفريق بين ما



البغدادي مع الرئيس الأسبق عبد السلام عارف

وقد رويت في مداخلتي عن وميض عمر نظمي عن حوار دار بين ناجي طالب وبيبي في بغداد العام 2003 حين بادرته بالشكر قائلاً حتى وإن جاء متأخراً، لكنه واجب واعتراف بالجميل الذي لا ينسى، لأنه أسهم في إطلاق سراحنا (العام 1963) من خلال برفقة أرسلها الحاكم العسكري العام رشيد مصحح، وكذلك في إطلاق سراح عمي شوقي الذي كان معتقلاً في النادي الأولي، وبعدها في القلعة الخاصة "الموقف العام"، واستغرب الرجل، وأخبرته بأن ذلك تم عن طريق حديث تعززت فيه الثقة، فقد استمعت إلى وجهات نظر ذلك عبد الحميد وعبد الحسين أبرز الضباط الأحرار، سواء في التاريخ أو عن وجهة نظره الراهنة حينذاك أو عن رؤيته للمستقبل، ليس هذا فحسب بل أخبرته أننا كنا طيلة الخمسينات وحتى أواخر الستينات ناكل التمر بانتوانه المنارة من بسائتيهم، حيث تصل حصتنا سنوياً. وفي لقاءات لاحقة كانت دائرة الحضور تتسع لصبحي عبد الحميد وعبد الحسين الجمالي وميض عمر نظمي والشيخ جواد الخالصي وآخرين. وما دمنا نستعيد في الذاكرة السيد صادق الحسيني البغدادي ابن شقيق البغدادي الكبير، فقد اختلف ليومين في مقر الحرس القومي في النجف في العام 1963 التي جاءها شارباً من بغداد، حيث كان والده السيد مهدي الحسيني البغدادي عالم الدين

وكانت سفن في آخر شط العرب اختلف بوصولي، ودعني السنوتي وكان تنوخياً تتوذج فيه الكثة: فقال إلى أين الهجره؟ فارتدك الخرزج والأوس يقبلي ومسحت التقيط من الحرس لئلا يقراي الرب وسيطر سلطان نغاس المصبح

وقد رويت في مداخلتي عن وميض عمر نظمي حواراً دار بين ناجي طالب وبيبي في بغداد العام 2003 حين بادرته بالجميل الذي لا ينسى، لأنه أسهم في إطلاق سراحنا (العام 1963) من خلال برفقة أرسلها الحاكم العسكري العام رشيد مصحح، وكذلك في إطلاق سراح عمي شوقي الذي كان معتقلاً في النادي الأولي، وبعدها في القلعة الخامسة "الموقف العام"، واستغرب الرجل، وأخبرته بأن ذلك تم عن طريق والده ولقائه بعلمي د. عبد الأمير شعبان، وكان قد أشاد به وبعداقته لوالده

المعروف يسكن في الكرخ محلة التكراتنة ويصلي في جامع "الرحمانية"، وقد أطلق سراحه لعدم التعرف على شخصه من جهة وبعد تدخلات من جانب السيد البغدادي الكبير مدعوماً بطلب من الشيخ كاشف الغطاء من جهة ثانية، حيث أرسل الحاكم العسكري العام رشيد مصحح برفقية لإطلاق سراحه، ثم قام بتعزيزه إلى إيران الشيخ وهاب شعبان (خادم الحضرة العلوية) والشيوعي المعروف والسجين لأكثر من مرة في الخمسينات،

من أنصف الناس من نفسه رصين به حكماً لغيره الإمام الصادق

أما عن الخوولة التي يتحدث عنها السيد البغدادي (الحفيد)، فلها أكثر من بعد، فعني الدكتور عبد الأمير شعبان الذي درس الطب في أواخر الثلاثينات وتخرج طبيباً من كلية الطب في بغداد قبل ولادتي في الأربعينات، أسسه عز الدين الجزائري وكانت أهدافه ثقافية واجتماعية ودينية انتمت بنوع من الغموض، لكن وجهتها السياسية بدأت مع ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 وضممت مجموعة متخيرة ومتحمسة من الشباب بينهم محمد صالح الحسيني الذي اغتاله المخابرات العراقية في بيروت العام 1981 والسيد البغدادي "الحفيد" ومحسن عباس زاغي وعبد الأمير الخليل شفيق العضو القيادي البارز في حزب الدعوة عبد الصاحب السبعيل الذي اعدم في مطلع السبعينات واطلق على ذلك التنظيم حينها "حركة الشباب المسلم". وكان للحركة منهاجاً سمي دستوراً ونظاماً داخلياً وأصدرت بعض المنشورات وكان شعارها "مجتمع مسلم ودولة إسلامية: سعادة الدنيا ونعيم الآخرة" وقد أورد الباحث صلاح الخراسان بعض التفاصيل عنها (انظر: صلاح الخراسان - حزب الدعوة الإسلامية: حقائق حولها ونوافذ، فصول من تجربة الحركة الإسلامية في العراق خلال 40 عاماً (دمشق، 1999/ ط1).

وكان هذا التنظيم الذي تخلى عنه لاحقاً بعض أعضائه قد استمر على نحو مختلف بقيادة الجزائري ليؤسس "حركة الشباب العقائديين"، لمواجهة المد الشيوعي، ومعه مجموعة صغيرة أخرى أسست ما سمي "شباب العقيدة والإيمان" وكان من بين موجهيها السيد محمد علي المرعبي شخص يدعى عبد الرزاق التورنجي وهو إيراني الأصل، ويلبس العقال الكوفية ويجتمع ببعض الإسلاميين في الضحن العلوي، وقد شكك الإسلاميون به لاحقاً واتهموه بالعمل لصالح الأجهزة الأمنية، وكانت حركته وعلاقاته تتسم بالغموض والإبهام، والغريب أنه في أيام مرجعية "الخطي" أصبح وكلاً رسمياً له، وقد اعترض العمارة البيضاء" ولقب نفسه بالشيخ عبد الرزاق الواعظ) (وهو ليس من آل الواعظ في بغداد وهم عائلة سنية معروفة أو من آل الواعظ في النجف وهم أسرة شيعية شيعوية معروفة).

ولعل هذه الإبهامات التنظيمية الأولى تفاعلت مع غيرها، وكانت جزءاً من حركة إسلامية تداخلت مع حركات أخرى وعرفت لاحقاً باسم حزب الدعوة الذي تأسس كرد فعل للمد الشيوعي الذي بدأ بعد ثورة 4 تموز (يوليو) العام 1958.

ولاستكمال الحكاية فقد تمكن عمي بعد ذلك وبمساعدة من والد ناجي طالب أحد قادة ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 والوزير بعد الثورة ورئيس الوزراء في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف في النصف الثاني من الستينات الحاج طالب، الذي كان صديقاً له وطيبية الخاص في سوق الشيوخ منذ أواسط الأربعينات، من إطلاق سراحه، حين تم نقله إلى معتقل بالناصرية فكانه لئلا يسهل انتقاله في تغيير الإفادة وأغلقت القضية، ثم أطلق سراحه.

وكانت لصادق الحسيني آراء غريبة وغير مألوفة أحياناً وكان على حد تعبير أحدهم يبحث عن المعركة في حين يستدرج إليها الآخرين، أما هو فقد كان على العكس يستدرج الآخرين ليجرهم إلى مغرركته.

ولاستكمال الحكاية فقد تمكن عمي بعد ذلك وبمساعدة من والد ناجي طالب أحد قادة ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 والوزير بعد الثورة ورئيس الوزراء في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف في النصف الثاني من الستينات الحاج طالب، الذي كان صديقاً له وطيبية الخاص في سوق الشيوخ منذ أواسط الأربعينات، من إطلاق سراحه، حين تم نقله إلى معتقل بالناصرية فكانه لئلا يسهل انتقاله في تغيير الإفادة وأغلقت القضية، ثم أطلق سراحه.

ولاستكمال الحكاية فقد تمكن عمي بعد ذلك وبمساعدة من والد ناجي طالب أحد قادة ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 والوزير بعد الثورة ورئيس الوزراء في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف في النصف الثاني من الستينات الحاج طالب، الذي كان صديقاً له وطيبية الخاص في سوق الشيوخ منذ أواسط الأربعينات، من إطلاق سراحه، حين تم نقله إلى معتقل بالناصرية فكانه لئلا يسهل انتقاله في تغيير الإفادة وأغلقت القضية، ثم أطلق سراحه.

ولاستكمال الحكاية فقد تمكن عمي بعد ذلك وبمساعدة من والد ناجي طالب أحد قادة ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 والوزير بعد الثورة ورئيس الوزراء في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف في النصف الثاني من الستينات الحاج طالب، الذي كان صديقاً له وطيبية الخاص في سوق الشيوخ منذ أواسط الأربعينات، من إطلاق سراحه، حين تم نقله إلى معتقل بالناصرية فكانه لئلا يسهل انتقاله في تغيير الإفادة وأغلقت القضية، ثم أطلق سراحه.



البغدادي مع الرئيس الأسبق عبد السلام عارف